

نحو تأسيس وعي بالهوية الخطابية للنص النقدي قراءة في كتاب بنية النص الأدبي

لحسين خمري

Towards Establishing an Awareness of the Discursive Identity of the Critical Text: A Reading of The Structure of the Literary Text
by Hocine KHOMRI

*د. دلال فاضل

جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)

مخبر الدراسات الاستشرافية الحماية اللغوية والاجتماعية

dalel.fadhel@univ-oeb.dz

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٠٩/١٠ النشر: ٢٠٢٥/١٢/١١

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥.../٠٧.../٠١٤٠

ملخص:

تنزل هذه الدراسة التحليلية في إطار توقعها المعرفي ضمن خطاب نقد النقد الأدبي، وتهدف إلى رصد أهم القضايا النقدية المتباعدة التي استشارها الناقد الجزائري حسين خمري في كتابه "بنية النص الأدبي" بحثا عن مقومات النص النقدي؛ إذ تموضع هذا الكتاب في مدار نقدي نوعي يفصح عن خصوصيته النقدية. كما تسعى هذه الدراسة أيضا إلى مساءلة كفاءات مطارحته تلك القضايا النقدية، وتلمس القيمة المعرفية لخطابه النقدي، معتمدة في ذلك على آليتي الوصف والتحليل، تحقيقا للغايات المعرفية المتوخاة. وعلى هذا الأساس يستوجب التساؤل عن أهم القضايا النقدية التي أثارها الناقد؟ وما مدى وعيه النقدي بها في سياق محاورتها؟ وفيما تكمن استراتيجياته لبناء خطاب نقدي متعال؟ وما طبيعة خطابه المتيقن؟ إذ يمكن التأكيد في هذا الصدد أنه قد أسس خطابه النقدي على وعي عميق بمقتضيات النص النقدي، وبخصوصياته الجوهرية، وبثوابته المعرفية التي تحقق أنطولوجيته، فأسهل بذلك في تقديم معرفة نقدية منتظمة.

الكلمات المفتاحية: نقد؛ وعي نقدي؛ قضايا نقدية؛ بعد معرفي؛ ميتا نقد.

Abstract :

This analytical study is epistemologically situated within the discourse of literary metacriticism. It aims to identify the divergent critical issues raised by the Algerian critic Hocine KHOMRI in his book, The Structure of the Literary Text, in search of the constituents of critical text. This book occupies a unique critical orbit that reveals its distinct critical particularity. This study also seeks to examine how KHOMRI addresses these critical issues and ascertain the epistemological value of his critical discourse.

The research relies on descriptive and analytical mechanisms to achieve its intended epistemological objectives. Accordingly, it addresses the key critical issues the critic raised, the extent of his critical awareness in engaging with them, his strategies for constructing a transcendent critical discourse, and the nature of his metacritical discourse. It can thus be affirmed that he grounded his critical discourse in a profound awareness of the requirements of critical text, its essential characteristics, and the epistemological constants that establish its ontology, thereby contributing to the presentation of organized critical knowledge.

KeyWords: Criticism ; Critical Awareness; Critical Issues ; Epistemological Metacriticism.

*د. دلال فاضل

المقدمة:

يعد الانشغال بقضايا الخطاب النقدي الأدبي المعاصر، أمراً حتمياً تفرضه الدراسات الاستيمية في إطار إعادة النظر في مداراته التي توطرها النظرية الأدبية المعاصرة، والتي بلورت رؤى منهجية متباينة الخلفيات الفلسفية ومتعددة الغايات المعرفية، ومختلفة نظام المفاهيم، قصد تفكيك عوالم النص الأدبي الجمالية والمعرفية. فمن المؤكد أن محاورة ثوابت الخطاب النقدي بوصفه فعلاً استيمياً تساعد في الكشف عن خصوصياته النوعية، وفاعليته وإنتاجيته داخل السياق النقدي والثقافي، ومن هذا المنطلق يمكننا التأكيد على أن أسئلة الخطاب النقدي الأدبي «تتصل بالإسهام في إنتاج معرفة تسعف على بلورة هوية الثقافة ومتخيل المجتمع» (برادة، ١٩٩٦، صفحة ٩). بهذا المعنى فإن التفكير في الخطاب النقدي يؤثر على الوعي بكيونته وقيمه المعرفية في إنتاج معرفة جديدة، وانخراطه في صيرورة النظرية النقدية.

وتجدر الإشارة إلى أن الخطاب النقدي الأدبي محكوم بأسس ومقومات توطرها حمولات فلسفية ومعرفية متعددة، خاضعة للمعطيات الحضارية والاجتماعية والثقافية، علاوة على كونه مقيداً بضوابط علمية متعلقة بالذات الناقدة وبالفعل النقدي. ومما لاشك فيه فإن مطارحة قضاياها تكتسي قيمة بالغة الأهمية في حقل المقاربات الميتانقدية؛ بوصفها ممارسة معرفية متعالية واعية بمدارها وبرهاناتها ونظام مفاهيمها. وتأسيساً على هذا فإن المتعارف عليه في الأدبيات النقدية أن أسئلة المنهج النقدي، وقضايا المنظومة المفاهيمية والمصطلحية، وجدلية النص والمنهج، ومسألة الوعي النقدي، وخصوصية الممارسة النقدية، والإبدالات المنهجية وسؤال الصيرورة، وأسئلة التمثلات

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

المنهجية من أهم قضايا الخطاب النقدي الأدبي في النظرية النقدية الغربية، والعربية على السواء، التي أثارت جدلا واسعا، فتشعبت المنظورات النقدية، وتباينت بتباين المعطيات الحضارية التي تبلورت في ضوءها هذه القضايا.

وتتشيد هذه الدراسة على أطروحة مؤسسة أن الوعي بإقامة حوار معرفي مع الخطاب النقدي الأدبي، وترهين أسئلته بناء على خصوصية السياقات الحضارية؛ هو وعي بقيمة النقد الأدبي وبوظيفته في إنتاج خطابات تسهم في تشكيل كينونة المجتمعات وجوهر ثقافتها المختلفة، إنتاجا متحيزا للمعرفة. وفي إطار انفتاح النقد الأدبي الجزائري المعاصر على الرؤى المنهجية المتعددة، التي أفرزتها النظرية الأدبية الغربية وأطرت منجزاته النقدية، استنادا على الاقتناعات الفكرية لدى الناقد الجزائري ورهاناته المنهجية والمعرفية. تتموضع هذه الدراسة التحليلية الوصفية لمطارحة أهم القضايا النقدية التي انشغل بمدارستها الناقد الجزائري حسين خمري عبر منجزه النقدي المنخرط في أفق المقاربة الميتانقدية وهو "بنية الخطاب الأدبي"؛ الذي خصصه للبحث في عوالم النص النقدي، ومساءلة أهم قضاياها لإرساء رؤية نقدية واعية بكيئونه وتفردته عن باقي الخطابات.

وعلى هذا الأساس، فقد اقتضت هذه الدراسة طرح الأسئلة الآتية: ما أهم القضايا التي انشغل بها الناقد خمري؟ وما غاياته؟ وما مدى وعيه النقدي بها؟ وما استراتيجيته في تشييد خطابه الميتانقدي؟ وما طبيعة هذا الخطاب؟ وفيم تكمن خصوصية لغته الواصفة؟. إذ تخرص هذه الدراسة على تقديم إجابة عن هذه الأسئلة؛ التي تعد الرهان المتوخى تحقيقه، إذ تهدف -قدر الإمكان- إلى الوقوف عند أهم القضايا النقدية التي طارحها حسين خمري، ومساءلة استراتيجياته، ومنظومته المفاهيمية والمصطلحية، وتنغيا الكشف عن القيمة المعرفية لمنجزه النقدي. ووعيا منا بهذه المعطيات اعتمدنا في هذه الدراسة بعض مقولات التصور المنهجي لنقد النقد الأدبي، كما هو متعارف عليه، واستعنا بالتي الوصف والتحليل.

I. كتاب بنية الخطاب الأدبي: البناء المعماري.

يندرج كتاب "بنية الخطاب الأدبي" للناقد الجزائري حسين خمري، الصادر سنة ١٩٨٣ في إطار البحث عن معرفة المعرفة، ويعكس وعيه بالأسئلة التي بلورتها النظرية الأدبية الحديثة والمعاصرة؛ المرتحنة بمبدإ التعدد والتباين على صعيد الخلفيات المعرفية والتصوير المنهجي، والمنظومة المفاهيمية، والغايات المنهجية والمعرفية، علاوة على إدراكه امتدادات هذه الأسئلة في تراثنا النقدي العربي. إذ يستمد هذا الكتاب قيمته المعرفية في تقديري من انطلاقه من أطروحة مؤداها؛ أن الخطاب النقدي أفق للحوار والتساؤل، ويندرج ضمن السياق الثقافي، ويخضع لمعطياته الحضارية، ويسهم في فعاليته وإنتاجيته، وعلى هذا الأساس نجده قد فكك المقومات المعرفية لهذا الخطاب سعيا إلى تحقيق مقاصده العلمية. فضلا عن كونه يعد من الدراسات الرائدة في الخطاب النقدي العربي والجزائري، التي

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

انشغلت بمسألة مكونات الخطاب النقدي، وأسست لحقل نقد النقد الأدبي، دون أن تصطلح عليه، رغم وعيها بمقتضياته. وقد اخترت هذا الكتاب بطبعته، قصدا للتأكيد على تموضعها ضمن الدراسات الرائدة في الخطابات الميتانقدية، الواعية بذاتها. رغم أن الناقد قد أعاد نشره لاحقا. واللافت للنظر أن الناقد قد أكد في الصفحة الموالية لصحة الغلاف أن النص النقدي هو جوهر دراسته، حيث إنه أعاد كتابة العنوان في صيغة: بنية الخطاب النقدي.

وبناء على أن الضرورة المنهجية تقتضي منا في إطار المقاربة الميتانقدية، الاهتمام بالبناء الهيكلي للمنجز النقدي قيد الدراسة، فإن ما وجب التنبيه إليه، أن الناقد لم يول اهتماما بمسألة تثبيت مباحث دراسته، كما هو متعارف عليه في الأدبيات الأكاديمية والمنهجية، حيث إن الاهتمام بهذه المسألة يحقق للعمل النقدي نظاما واضح المعالم، ويؤشر على خصوصية التفكير النقدي لدى الناقد، ويجيب عن سؤال المواءمة بين الغايات التي يراهن الناقد على تحقيقها، وبين المقولات النقدية التي انصب عليها الكتاب، محاورة وتحليلا. وهذا بناء على طرح الناقد عبد الرحمن التمرة في كتابه "نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي".

وإن ما يمكن تأكيده أن الناقد خمري قد قدم خطابا نقديا متعال محكوما بالبحث عن الهوية الخطابية للنص النقدي، الأمر الذي اقتضى منه مسألة عديد القضايا في مباحث مثبتة في متن الكتاب، متعلقة بقضايا النقد، وموضوع الأدب، وموضوع النقد، وبماهية النقد، والناقد، وطبيعة النقد، وجهازه المفاهيمي، ووظيفة النص ووظيفة الناقد، والنقد والحقول المعرفية، والمواقف النقدية، ومراحل النقد.

إن المتأمل في هذه القضايا المتعلقة بالنص النقدي، والذي هو موضوع الدراسة في الآن ذاته، يدرك بما لا يدع مجالا للشك بأن الناقد خمري، قد قصد الاهتمام بها، كونها تسعفه في البحث عن الخصائص النوعية للنص النقدي التي تحدد هويته داخل النسق الثقافي، وتكشف عن إنتاجيته وفعاليته، وعلى هذا الأساس جعلها توجهه منجزه النقدي هذا، وتؤكد أنه محكوم بمعيار المواءمة، إذ إن تفكيك مكونات الخطاب النقدي، تقتضي إعادة النظر في أسئلة نظرية الأدب والنظرية النقدية، وترهينها بناء على المعطيات الحضارية المعاصرة، لذلك نجده قد نحا منحى المسألة؛ لتأسيس خطاب معرفي نظري، يسهم في بلورة نموذج يوظف مقتضيات النص النقدي.

وهكذا كان مدار مباحث دراسته التركيز على البعد الأنطولوجي للنص الأدبي بوصفه موضوعا للنص النقدي، ليضبط الفروقات الجوهرية بينهما، ويحدد معنى النقد وضوابطه وبماهية الناقد الأدبي ووظيفته، ويكشف عن صلات النقد بالمدارات المعرفية الأخرى، ويرصد تحولاته. إن ما يمكن الإشارة إليه في هذا السياق، وتأسيسا على وعي الناقد بالمقولات المؤطرة لمنجزه النقدي، هو أن عناوين مباحث الكتاب تتقاطع معظمها في توظيف مصطلح النقد، ولكن تتباين في أسس الأسئلة التي تراهن على الكشف عن الخصوصية النوعية للخطاب النقدي، التي تميزه

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

عن باقي الخطابات المعرفية الأخرى. كما أن هذه المباحث تفضي إلى التأكيد على وعي الناقد بسلطة الخطاب ومتطلباته لإنتاج معرفة به.

II. كتاب بنية الخطاب الأدبي: الغايات والمقاصد.

اهتم الناقد حسين خمري في كتابه "بنية الخطاب الأدبي" بأسئلة النص النقدي، بحثاً عن مكوناته ومقوماته وضوابطه، بوصفه فعلاً نقدياً، وممارسة فاعلة في استنطاق النصوص الإبداعية المتعددة الموضوعات، والمتبانية الأجناس الأدبية، ففي سياق اهتمامه بقضايا الخطاب النقدي انطلق الناقد من افتراض نظري ضمني، يتحدد عبر مواقفه النقدية، وأحكام القيمة الصادرة في هذا الكتاب، إذ آمن بأطروحة فعالية الخطاب النقدي في السياق الثقافي الذي تبلور فيه، وآمن بأن كل واقع ثقافي له خصوصياته التي توجه الخطاب النقدي.

انطلق أيضاً من اقتناع بحوارية النقد الأدبي عبر سيرورته، على اختلاف السياقات الحضارية، والثقافية في ضوء معادلة التثاقب بين الثقافتين العربية والغربية. وحرصاً على تحقيق غاياته، فقد ربطها بمبدأ التأصيل، وفي هذا الإطار يصرح قائلاً: «ومن هنا كان التفكير في هذا البحث النظري، وهو محاولة متواضعة للتقريب في تراثنا النقدي، والبلاغي القديم عن نقاط التلاقي بينه وبين النقد البنيوي، والنصوص النقدية العربية القديمة» (خمري، ١٩٨٣، صفحة ٧). استناداً على هذا القول النقدي فقد اعتمد الناقد على آلية المقارنة للبحث عن مواضع التقاطع بين الخطاب النقدي المعاصر وما أفرزه من رؤى ومفاهيم تستجيب لروح العصر، وبين ما أنتجه تراثنا البلاغي والنقدي من مقولات نقدية أطرت النص الإبداعي آنذاك، وشكلت مرجعية انطلقت منها بعض الرؤى المعاصرة وكيفتها بما يوائم المعطيات الحضارية، ويسعف في تحقيق الرهانات المعرفية أثناء فعل القراءة. ويدعم الناقد موقفه هذا بالإشارة إلى نقاط التقاطع بين البنيوية كروية منهجية أفرزتها الفلسفات الحداثية، وبين نظرية النظم التي أنتجتها الشعرية العربية القديمة.

إن ما يمكن تأكيده في هذا الإطار أن مقاصد الناقد مرتحنة بأطروحة مضمرة قوامها تأكيد فعالية بعض المقولات النقدية التراثية، بحثاً عن هوية لخطابنا النقدي العربي المعاصر، وإثباتاً للعلاقة القائمة بين منظورات تراثية، ومقولات نقدية معاصرة. لذلك نجده قد عاد إلى التراث النقدي في سياق معالجته فكري هوية الناقد الأدبي، وثنائية اللغة الإبداعية الأدبية واللغة الواصفة، مستعيناً بمواقف الجاحظ وقدامة بن جعفر، وعبد القادر الجرجاني مؤكداً أن تراثنا النقدي يتميز بوعي نقدي يؤهله لتقديم معرفة منتظمة بمقولات الخطاب النقدي آنذاك.

كما راهن أيضاً الناقد عبر منجزه النقدي إلى رصد أهم القضايا النقدية المشتركة بين الخطاب النقدي الغربي والخطاب التراثي النقدي والبلاغي، قصد فتح «الجمال أمام البحث المعمق في أسسها الفكرية وأصولها الفلسفية،

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

وذلك قصد ربط معطيات الحداثة بنقدنا القديم، والاستفادة من بعض جوانبه، وكذا فتح الحوار مع تراثنا الأدبي الذي يعاني التغريب والاهمال» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ٨). وبهذا المعنى فقد كانت غاياته مسكونة بمحسب إعادة النظر في تراثنا النقدي، والانشغال بقضايا معاصرة تمتد جذور بلورتها في تراثنا العربي الذي غفل عن مدارسته بعض الناقد المعاصرين.

كما شكل البحث في سؤال تلقي الخطاب النقدي العربي لإبدالات النظرية الأدبية المعاصرة، غاية من غايات دراسة حسين خمرى النقدية، بحثاً عن تموقعه ضمن خارطة النقد الأدبي، ورصد أهم الرؤى النقدية التي تمثلها الناقد العربي لمقاربة النتائج الإبداعية، ومسألة مدى وعيه بالمنظورات التراثية، ومدى مراعاته الخصوصية النوعية لنصوصنا العربية في ضوء انفتاحه على النقد الحداثي الغربي المنشأ.

III. القضايا النقدية واستراتيجيات التشييد:

انفتح الناقد حسين خمرى في منجزه النقدي سالف الذكر على الرؤى النقدية الغربية، واستمد منها بعض المقولات المتعلقة بالبعد الأنطولوجي للمفاهيم النقدية التي استثمرها لتحقيق طموحه المعرفي، إذ عالج عديد القضايا النقدية التي تحدد هوية الخطاب النقدي، وهو في ذلك واعٍ بأن هذا الأخير مرتبط بشروط وضوابط علمية، تجعله متفرداً، ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى أهم القضايا التي طرحها، وهي على النحو الآتي:

III. ١. النص الأدبي والنص النقدي: سؤال التموقع

شكل البحث في أسئلة تموقع النصين الأدبي والنقدي على السواء منطلقاً أساسياً في كتاب "بنية الخطاب الأدبي" إذ سلط الناقد الضياء على شروط تكوينهما، باحثاً عن الفروقات الجوهرية بين النص الإبداعي الأدبي، وبين النص النقدي، معلناً عن أن لكل منهما سلطة تحقق تكوينهما وإنتاجهما. واللافت للنظر أن الناقد قد أسس طرحه لهذه القضية على فرضية معلنة قائلًا: «إذا كانت القضايا التي يطرحها النص الأدبي هي نفس القضايا التي يجب أن يناقشها النص النقدي، فما هي العلاقة بين هذين النصين» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ١٠)، ويوجب الناقد عن هذا السؤال، محددًا ثلاثة أصناف من العلاقة بين النصين؛ محكومة بسؤال الترتيب، وسؤال الوظيفة، وسؤال الموضوع.

فعلى صعيد سؤال الترتيب بتعبير الناقد عبد الرحمن التمارة فقد أكد حسين خمرى أن العلاقة بين النص الأدبي والنص النقدي، هي علاقة تبعية كون «النص الأدبي يجب أن يكون غاية النقد وجوهه» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ١٠)، أي إنّ النص الأدبي يسبق النص النقدي في التكون بوصفه موضوعاً له، لتفكيك عوالمه. وتساوقاً مع هذه العلاقة فقد أضاف الناقد نمطاً آخر من الأنماط التي تحكم العلاقة بين النصين، اصطلاحاً عليها بعلاقة الاحتواء والتجاوز، وينحصر منظوره لهذه العلاقة في فعل النقد في حد ذاته، إذ يراهن على استنطاق النص الأدبي، وفي ضوء

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

المنهج النقدي المتمثل والمتباين عن المناهج الأخرى في المقاصد والخطوات التحليلية، والإواليات النقدية، والآليات المعتمدة. فبحس نقدي اتخذ الناقد من مقولة الترتيب معياراً لضبط العلاقة بين النصين، وهو في ذلك مقتنع بأن الترتيب «دال على الكينونة النوعية لكل نص، وليس الإقرار بأفضلية أو تمايز أو تبعية» (التمارة، ٢٠١٧، صفحة ١٦). يكشف هذا المعيار عن مراهنة الناقد على إثبات العلاقة القائمة بين النصين معاً.

هذا عن سؤال الترتيب، أما عن سؤالي الوظيفة والموضوع، فقد سلك الناقد المسلك ذاته في سياق معالجته الفروق الجوهرية بين النص الأدبي، والنقدي، معتمداً على آلية الشرح، إذ أكد أن لكل نص على حدة وظيفة منوطة به، وآليات خاصة، تمنحه صفة التفرد. وارتباطاً بالغاية المعرفية ذاتها، فقد أقر الناقد بأن موضوع النص عامل مساعد على تحديد هويته «فالأدب يتناول الإنسان، وعلاقته بهذا العالم.... أما موضوع النقد فهو النص الأدبي ذاته» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ١٣-١٤)، يفضي بنا هذا الحكم النقدي إلى أن الناقد قد اعتمد على آلية المقارنة ليقف عند نقاط الاختلاف بين النصين من حيث الموضوع. فموضوع النص الأدبي الإنسان وعالمه، هذا الطرح يستجيب لرؤية الأديب للعالم، في المقابل يتخذ النص النقدي النص الإبداعي متناً للدراسة، بحثاً عن المعنى بناءً على منظور الناقد والخيارات الأسلوبية والتقنية في النص الأدبي.

وجدير بالذكر في هذا السياق أن الناقد خمرى قد بحث في سؤال الترتيب في التراث العربي من خلال اهتمامه بما طرحه أبو حيان التوحيدي بخصوص مستويات الخطاب، إذ يقول: «المستوى الأول الكلام، والمستوى الثاني الكلام عن الكلام، وعلى صعيد الممارسة النقدية نلاحظ مدى ترابط هذين المستويين» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ٢٧)، وهذا الطرح يتواءم مع أطروحة النص الأدبي والنص النقدي بهذا الترتيب. ومما لاشك فيه أن الناقد خمرى قد أعاد النظر في التراث، وعياً منه بمدى إدراك الناقد العربي القديم مسألة اختلاف أسئلة النص الأدبي عن أسئلة النقد الأدبي، وقدرته على بلورة إواليات تسعفه في قراءة النصوص الأدبية.

III. ٢. اللغة الأدبية واللغة النقدية.

خصص الناقد خمرى مبحثاً للاهتمام بقضية اللغة في النصين الأدبي والنقدي، بحثاً عن خصوصيتهما النوعية ووقوفاً عند الفروقات الجوهرية، حرصاً منه على تحديد معايير وضوابط النص النقدي، فأولى عناية فائقة بسؤال كيف يتحقق النص النقدي؟ فقارب قضية اللغة مؤكداً أن النصين يتجليان عبر اللغة، أي إنهما يشتركان في المادة ويختلفان في طبيعتها أو وظيفتها، وقد استمد هذا التصور بناءً على إحالاته من الناقد الفرنسي رولان بارت، إذ أشار خمرى في إطار ضبط الحدود الفاصلة بين اللغتين المتعلقة بطبيعتها، إلى كون لغة النص الأدبي، هي لغة موضوعية، أما لغة النص النقدي فهي لغة محمولة، وهكذا يتبين لنا أن الناقد أسس طرحه هذا على خصوصية كل لغة على حدة. فلغة

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

النص الأدبي لغة تخضع لمعيار الانتقاء والاختيار بناء على خصائص الجنس الأدبي، واتجاهاته، ورؤية الأديب للعالم، وقدرته على بناء نص مختلف شعرية، أما اللغة النقدية، فهي لغة واصفة للغة النص الأدبي، لغة لها محمولات معرفية ومتعددة المرجعيات، بناء على انفتاح النقد على الحقول المعرفية واجتراحه مصطلحات منها لاستثمارها في قراءة النصوص الإبداعية، بعد تكييفها بما ينسجم والمحمولات الفكرية لحقل النقد الأدبي. وبهذا المعنى فنظام المفاهيم النقدية يكسب النص النقدي كينونته وخصوصيته.

إن اختلاف طبيعة اللغة الأدبية عن اللغة النقدية يفرز بدهة اختلافا في وظيفتها، وفي هذا السياق يبسط الناقد الفرق بين اللغتين قائلا: «فوظيفة اللغة هي التعبير عن العالم (نظرية الانعكاس ونظرية التعبير)، أما اللغة النقدية، فهي ميتا-لغة (حسب تعبير بارث) أي كلام عن كلام» (خمري، ١٩٨٣، صفحة ١٦). يمكن النظر إلى هذا الطرح انطلاقا من بعده النقدي، إذ إن انشغال الناقد الجزائري خمري بسؤال الوظيفة، وإدراكه سؤال الاختلاف بين اللغتين، وسؤال الترتيب، وسؤال المحمولات الفكرية، يجعل خطابه النقدي يندرج ضمن خطاب التحقيق، بوصفه متنا من متون نقد النقد الأدبي، بناء على منظور الناقد محمد الدغمومي في كتابه "نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر" الصادر سنة ١٩٩٩. فلا مناص من القول في هذا الإطار، إن اهتمام الناقد بوظيفة اللغة في الخطابين الأدبي والنقدي، يحيل على إدراكه القيمة الجمالية المتعلقة بالخطاب الأول، والقيمة المعرفية المتعلقة بالخطاب الآخر، بوصفهما رهانات التحليل.

وتستوقفنا ملاحظة غاية في الأهمية - في تقديري - متعلقة بمرجعية الناقد في الاصطلاح، إذ إنه امتاح مصطلح كلام عن كلام، من الحقل التراثي، تعبيرا عن اللغة الواصفة أو اللغة المتعالية، وهو في ذلك يسلك مسلك التأصيل، ويؤكد استراتيجيته التأصيلية في سياق إقامته حوارا معرفيا مع الخطاب النقدي، في تحديده وظيفة اللغة النقدية التي تنحصر حسبه في معنى المعنى، مشيرا إلى منظور البلاغي العربي عبد القادر الجرجاني، والالاف للنظر أنه يوظف مصطلحي اللغة الثانية واللغة الشارحة بدائل في سياقات عديدة في منجزه النقدي.

III. ٣. النقد الأدبي: سلطة الخطاب وسؤال الوظيفة.

اعتنى الناقد خمري سعيًا لتحقيق غاياته المعرفية بسؤال ما النقد الأدبي؟ هذا السؤال القديم الجديد ترتب عنه سؤالان اثنان؛ الأول متعلق بمعنى الناقد وخصائصه، أما الآخر فتمحور حول ماهية النص الأدبي. فلا بد من التأكيد في هذا الإطار أن الناقد على وعي عميق بمقتضيات النقد الأدبي كممارسة ابستمولوجية، من حيث شروط تحققه، إذ لا يمكن تعريفه إلا بضبط شروط يجب توفرها في الناقد الأدبي، بوصفه فاعلا خاضعا لسلطة المؤسسة النقدية. وبهذا المعنى حدد مفهوم النص الأدبي في قوله: «إنتاج لغوي بالدرجة الأولى... يطمح بكل وسائله وأدواته إلى نقل

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

تجربة إنسانية معينة» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ١٢-١٣). وهكذا بنى الناقد مفهومه على أطروحة الشكل والمضمون. ولبيان النظام الذي يتأسس عليه النقد الأدبي، اعتمد آلية التعريف، لوضع حد لمفهوم الناقد الأدبي، مركزاً في ذلك على ضبط أهدافه من التحليل، إذ يقول: «فهي البحث عن الحقيقة الأدبية أو المعاني التي يعرفها النص الأدبي دون أن يصرح بها» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ١٧). بهذا المعنى يرى أنه على الناقد الأدبي أن يكون موضوعياً أثناء التحليل، وأن يتعامل مع النتائج الأدبي كما تمت صياغته.

ودون شك أن هاجس الناقد خمرى في تشييد خطاب نقدي نظري، يؤطره حقل النقد الأدبي من حيث هويته وخصوصياته النوعية، جعله يولي عناية كبيرة به، إذ عرفه قائلاً: إن النقد الأدبي «نشاط فكري وإنساني يقوم به الناقد قصد تجلية معنى من المعاني، أو تقويم اعوجاج أو إشارة إلى موطن من مواطن الجمال، وهكذا نجد أن تعريف النقد يختلف باختلاف النظريات النقدية، وتركز على الجانب أو الهدف الذي يهدف إليه الناقد، لذلك فإن كل محاولة لتأطير العملية النقدية أو محاولة إعطاء تعريف للنقد، يعني اتخاذ موقف ايديولوجي وثقافي معين» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ٢٣). يفضي بنا تصوره النقدي إلى التأكيد على أن الناقد قد أسس منظوره إلى النقد الأدبي على مقولة الحقل المعرفي الذي يتنزل ضمنه، وعلى وظيفة الناقد الأدبي، فضلاً عن أن تعريف النقد الأدبي محكوم بالتعدد والتنوع، بتنوع اتجاهات النظرية النقدية التي تؤطره. وإلى جانب تعدد النظريات تعددت أيضاً مقاصد الناقد الأدبي من القراءة.

وهكذا يؤكد خمرى أن تعريف النقد الأدبي مرتهن بمكونات تحقق كينونته، ويشكل كل تعريف له عن إقرار بانتمائه إلى سياق ايديولوجي، أو سياق ثقافي، ويستمد هذا الطرح مشروعيته من إيمان الناقد، بأن النقد الأدبي كنشاط فكري يستند على خلفيات معرفية ورؤى فكرية، تبرر له مشروعية تصوره للنص الأدبي، وكيفيات مقارنته، وغاياته من ذلك. بهذا المعنى يلح الناقد على منظوره إلى الخطاب النقدي بوصفه «إنتاجاً ينتمي إلى الثقافة، وأيضاً له استقلاليته داخل تلك الثقافة» (الدغمومي، ٢٠٠٦، صفحة ١١). وتأسيساً على هذا فماهية النقد الأدبي لدى الناقد خمرى مرتبطة بالمعطيات الثقافية، وهو حقل مستقل في الآن ذاته.

وحري بنا الإشارة في هذا النطاق إلى أن الناقد لم يكتف بمناقشته مقومات النقد الأدبي في جانبه النظري فحسب، بل اهتم بالحديث عن النقد على صعيد الممارسة النقدية، كفعل نقدي يستثمر عبره الإوالات المنهجية لتقديم قراءة للنص، الأدبي وتفكيك بنياته الشكلية والدلالية. إذا أشار إلى ضرورة تجاوز رؤية النتائج الأدبي بوصفه نسقاً لغوياً معزولاً عن الإنسان والعالم، وهما يشكلان موضوعاً له، مؤكداً على أن «كل ممارسة نقدية ترى في النص مجرد تعبير لغوي وجمالي هي ممارسة قاصرة النظر؛ لأن جماليات النص الأدبي تركز إلى خلفيات ثقافية واجتماعية لا

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

يمكن نكرانها» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ٢٣). استنادا إلى هذا الموقف النقدي يتضح جليا أن خمرى قد شيّده على مبدأ التجاوز، إذ تجاوز منظور النقد البنيوي للنص الأدبي كبنية لغوية، إلى النظر إليه في ضوء سؤال المرجعية الاجتماعية والثقافية، التي تسهم بشكل كبير في بناء عوالمه التخيلية والمضمونية، مؤكداً أن المقاربة البنيوية للتأجحات الأدبية لا يمكنها تقديم قراءة منتجة لها، لذلك على الناقد الأدبي أن يجمع بين المعطى الجمالي والمعطى المرجعي أثناء الممارسة النقدية في ضوء تعدد معاني النصوص الأدبية.

ومما يؤكد الحس النقدي بسؤال هوية الخطاب النقدي لدى خمرى؛ إثارة قضية وظيفة النقد الأدبي، إذ قاده التفكير في ماهيته وشروط تحقيقه إلى البحث عن وظيفته، وبهذا المعنى فقد حصر وظيفته في إنتاج معرفة جديدة بالنص الأدبي أثناء تقديم الناقد قراءة له تؤطرها رؤية منهجية، وأدوات إجرائية محددة، وتحكمها غايات معرفية معينة تفرضها خلفيات الناقد المعرفية من جهة، ومن جهة أخرى تستوجبها خصوصيات النص الأدبي النوعية، كونه ينتج في فضاء سوسيوثقافي، وحضاري محدد. وفي هذا النطاق يقول خمرى: «إذا تأملنا يعمق وظيفة النقد الأدبي في كل تحليلاتها من تفسير ووصف وتحليل وحكم، وإذا أجمالنا كل هذه العمليات لأمكن لنا أن نلاحظ أن وظيفة النقد هي إنتاج معرفة بالنص الأدبي» (خمرى، ١٩٨٣، صفحة ٣٨). تتضح إذن، للمتأمل في منظور حسين خمرى لوظيفة النقد الأدبي اقتناعه النقدي بمسألة إنتاج معرفة جديدة للنتاج الأدبي عند استنطاقه، أي إنه يؤكد على قضية غاية في الأهمية، مؤداة الإضافة النوعية التي يقدمها الناقد الأدبي للنص الإبداعي، إذ ينتج نصا نقديا جديدا يستثمر عبره خلفياته المعرفية وآلياته التحليلية من تفسير، ووصف وتحليل واستثمار لمفاهيم إجرائية، تسعفه في إصدار حكم قيمة ينتج من خلاله معرفة جديدة بالنص الأدبي، واستحلاء خصوصياته النوعية على صعيد: بنياته الجمالية، ومحمولاته الدلالية، وأنساقه الثقافية، وقيمه الإنسانية والحضارية.

III. ٤. النص الأدبي بين أسئلة المنهج النقدي ونظام المفاهيم.

استمر الناقد خمرى في التفكير في قضايا النص النقدي، وبحث في مكوناته الداخلية، وأعاد النظر في علاقة النص الأدبي بالمنهج النقدي، وبمنظومته المفاهيمية، قصد التأكيد على فعالية النقد الأدبي، التي يراها مرتبطة بمسألتين اثنتين: منهج ينسجم ومعطيات النص، ونظام مفاهيم منتمية إلى المنهج النقدي نفسه. وهكذا يفصح عن رؤيته لهذه القضية، إذ يرى أن سمات النص الإبداعي تقتضي من الناقد تمثل منهج معين، لاستكناه خصوصية النص الأدبي الجمالية والثقافية والمعرفية التي تميزه داخل الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، ودون شك أن هذه الرؤية النقدية تحيل على وعي خمرى النقدي بأطروحة المواءمة بين المنهج النقدي، وخصوصية النص الأدبي، وإسهام ذلك في إنتاج خطاب نقدي ذي فعالية.

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

كما يرى في السياق ذاته أن على النقد الأدبي أن يؤسس «مجموعة من المفاهيم تميزه عن الأنشطة الأدبية الأخرى... ومن خصائص هذا الجهاز الشمولية في الرؤية، أي اقتراح نظرة متكاملة للنص الأدبي في علائقه مع السياقات الاجتماعية والثقافية والنفسية، دون إغفال أي جانب من جوانبها» (خمري، ١٩٨٣، صفحة ٣٣). إن مفاد هذا الطرح هو إدراك الناقد للقيمة المعرفية التي تكتسبها منظومة المفاهيم والجهاز المصطلحي في الخطاب النقدي، والتي تمثل أحد ركائزه التي يمكن الاعتماد عليها للكشف عن خصوصية هذا الخطاب وإضافته المعرفية. فالمفاهيم معالم هذا الخطاب والمصطلحات أدواته الإجرائية، كما هو متفق عليه. إذ إن ما يميزه عن النتائج الإبداعية هو توظيفه منظومة مفاهيمية متعددة الحمولات الفكرية، والمرجعيات، كونها مجترحة من حقول معرفية متباينة، يكسبها حقل النقد الأدبي حمولاته المعرفية لتوظيفها في استجلاء خصوصية النص الأدبي. والالفت للنظر هو أن الناقد يجعل من مبدأ الشمولية معياراً يحكم المفاهيم النقدية، إذ تنتظم في نسق معرفي، وتراهن على هدف مشترك، وقد استمد هذه الرؤية من منظوره للنص الأدبي في علاقاته مع سياقاته الخارجية التي تسهم في تكوينه، وهكذا يرى أن القراءة النقدية المنتجة تقتضي توظيف مصطلحات إجرائية تكشف عن كل المعطيات المتعلقة بالنص، سواء أكانت داخلية أم خارجية.

وتستوفنا قضية نقدية أخرى ناقشها خمري تناسلت من قضية سؤال إنتاجية النقد الأدبي، وهي سيرورة العملية النقدية؛ إذ اقترح أربع مراحل أو خطوات تحليلية، يراها تحقق صفة إنتاجية قراءة الأعمال الأدبية، وهي: ما قبل القراءة النقدية، والقراءة النسقية/ الأفقية، ودراسة البنية الأدبية، والتفسير والحكم. فالمرحلة التحليلية الأولى جعلها متعلقة بوعي الناقد بضرورة تمثل منهج يسعفه في تبيان خصوصيات النص المدروس، وضرورة استثمار عدته المفاهيمية. أما المرحلة الثانية فهي متعلقة برسم خطاطة تتضمن الظواهر النصية، لينتقل الناقد إلى المرحلة الثالثة لتقدم تفسير وتأويل لتلك الظواهر المتحلية، لينتهي إلى إصدار حكم قيمة يوضع عبره النص في نسقه الثقافي.

III. ٥. النقد العربي وسؤال التلقي.

اهتم الناقد بمتابعة تحولات الخطاب النقدي الحديث والمعاصر في ضوء تمثله الإبدالات النقدية الغربية، واعتمد على آلية التصنيف بناء على طبيعة المناهج التي تبناها الناقد العربي، ومنطلقاته النقدية، فقسّمها إلى ثلاثة اتجاهات؛ الاتجاه الأول اصطلاح عليه بما قبل النص، ويقصد به التجارب النقدية التي قاربت النتاجات الإبداعية اعتماداً على السياقات الخارجية، أما الاتجاه الثاني فقد كان مداره توصيف مركّزات التحليل المحكومة بالاهتمام بالبنى الداخلية، فاصطلاح عليه ب: في صميم النص، أما الاتجاه الأخير، فقد وصفه بما بعد النص ويقصد به المقاربات النقدية ما بعد البنيوية.

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

هذه القضايا النقدية مجتمعة عاجلها الناقد حسين خمري قصد تحديد هوية للخطاب النقدي، وانتهى إلى نتيجة مؤداها؛ أن «النقد ليس ترسانة من المفاهيم أو شبكة من العلاقات الميكانيكية، بل هو فن وإبداع ولا تحصل له هذه المزية إلا إذا استطاع تجاوز النص الأدبي وخلق سياقاته الخاصة وعالمه المحدد» (خمري، ١٩٨٣، صفحة ٧٢). وهكذا يؤكد الناقد أن الخطاب النقدي مدار معرفي مستقل عن الخطاب الأدبي الذي هو موضوعه، قصد تحليله وإصدار أحكام قيمة حوله، وبهذا يحقق كينونته.

وتأسيسا على هذه القضايا النقدية التي تساءل عنها الناقد خمري في منجزه النقدي هذا، قصد موضعتها في إطارها الاستيمى، وتعزيز الوعي النقدي بها، وتشديد خطاب نقدي واع بذاته، يمكننا أن نموضع خطابه النقدي هذا ضمن خطاب: التحقيق، تأكيداً للحكم النقدي سابق الذكر؛ كونه «خطاب تساؤلات حول فعل النقد» (الدغمومي، ١٩٩٩، صفحة ٧٦). فبهذا المنجز النقدي أسهم خمري في إثراء نقدنا العربي، والجزائري على وجه الخصوص بخطاب نقدي محكوم بتساؤلات حول فعل النقد.

الخاتمة:

انطلاقاً من هذه المعطيات، يمكننا تقديم بعض النتائج المتعلقة بمحاورة هذا المنجز النقدي، هي على النحو الآتي:

١- يعد كتاب "بنية الخطاب الأدبي" للناقد الجزائري حسين خمري منجزاً نقدياً بالغ الأهمية، إذ يعد من الدراسات الرائدة والتأسيسية في الخطاب النقدي الجزائري، التي تسائل فعل النقد، وواعية بمدارها المعرفي الذي يقتضي منها مطارحة القضايا النقدية باستراتيجية محكومة بسلطة الخطاب النقدي، وبهذا تموضع في إطار الدراسات الميتانقدية التي أكدت إنتاجيتها.

٢- تعددت المرجعيات المعرفية والنقدية للناقد، إذ امتاح من معين بعض الأطاريح التي بلورها تراثنا النقدي والبلاغي، كما استفاد أيضاً من رؤية النظرية الأدبية الغربية المعاصرة؛ قصد تأكيد وعي تفكيرنا النقدي والبلاغي برهاناته المعرفية والمنهجية، والإشارة إلى مسألة امتداد بعض الرؤية النقدية الغربية المعاصرة في تراثنا القديم، وهكذا يوقع الناقد خطابه النقدي، ضمن الخطاب التأصيلي.

٣- راهن الناقد خمري على إنتاج خطاب نقدي نظري يحدد عبره الهوية الخطائية للنقد الأدبي، بوصفه خطاباً متفرداً عن خطاب النتاجات الإبداعية، فكل خصوصياته.

٤- إن وعي الناقد بمقاصده المعرفية، وبخصوصية الحقل المعرفي لدراسته النقدية، لذا أسسها على أطروحة النقد أفق للحوار، فانشغل بقضايا مركزية تحدد هوية النقد الأدبي، كسؤال الماهية، والخلفيات المعرفية، والحمولات الفكرية،

مجلة دراسات المجلد ١٤ العدد ٠٢ ديسمبر ٢٠٢٥

واللغة الواصفة، والموضوع والأحكام النقدية، وسؤال المنهج النقدي، وسؤال الاختلاف بين النصين الإبداعي والنقدي، مستثمرا في ذلك آلية التعريف، والشرح والوصف، والتحليل، والمقارنة.

٥- إن الرؤية التي أطرت منجز خمري النقدي هي رؤية شمولية للخطاب النقدي، ويتجلى هذا عبر طبيعة العلاقة التي تحكم القضايا النقدية محل المسألة، إذ إنها تتناسل وتتوالد من بعضها البعض؛ فهوية النص النقدي، مرتبطة بهوية النص الإبداعي، وبماهية الناقد، وبمقتضياته، وبماهية النقد، وبمرجعياته، وبغاياته وبوظائفه، وبمراحله، هذه القضايا التي ساءلها خمري تؤثر على رؤيته الشمولية.

٦- يتنزل خطابه النقدي ضمن خطاب التحقيق، كمتن من متون خطاب نقد النقد الأدبي، كونه مشيدا على التساؤل المعرفي عن هوية النقد الأدبي.

هذه بعض المعالم الأولية لخطابه النقدي في منجزه "بنية النص الأدبي"، الذي يعد من بين الدراسات التأسيسية لخطاب نقد النقد الأدبي، وهو منجز جدير بالمقارنة بناء على تعدد الأسئلة المعرفية التي طارحها، والتي تقتضي محاورتها في دراسات أكاديمية لاحقة، يستحضر عبرها القضايا الجوهرية في تراثنا البلاغي والنقدي في إطار علاقاته بالنظرية النقدية الغربية وبالنظرية النقدية العربية المعاصرة.

قائمة المراجع:

- ١/ برادة محمد، (١٩٩٦)، أسئلة الرواية أسئلة النقد، ط١، شركة الرابطة، الدار البيضاء.
- ٢/ خمري حسين، (١٩٨٣)، بنية الخطاب الأدبي دراسة، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر.
- ٣/ التمار عبد الرحمن، (٢٠١٧)، نقد النقد بين التصور المنهجي والانحياز النصي، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن.
- ٤/ الدغمومي محمد، (٢٠٠٦)، نقد الرواية والقصة القصيرة بالمغرب مرحلة التأسيس، ط١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.
- ٥/ الدغمومي محمد، (١٩٩٩)، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب.